

تراجع الإمبراطورية الأمريكية

تهمس أصوات إمبراطورية تتلاشى عبر العالم - هل يمكن أن تفقد الولايات المتحدة، التي كانت ذات يوم عملاقة القوة بلا منازع، قبضتها؟ اعتبارًا من عام 2025، تشير التحولات التكنولوجية، والانتكاسات الجيوسياسية، والضغط الداخلي إلى نهاية عصر، تتحدى أسس الهيمنة الأمريكية. صعود الحروب غير المتكافئة، ونهوض القوى المنافسة، وتدهور القاعدة الداخلية ترسم صورة لقوة عظمى في تراجع، تترنح على حافة التاريخ.

التخلف التكنولوجي وثورة الطائرات بدون طيار

أحد أبرز مؤشرات تراجع أمريكا هو تأخرها في التكيف مع التحولات التكنولوجية التي تعيد تشكيل الحروب الحديثة. أحدثت الطائرات بدون طيار والصواريخ الدقيقة اضطرابًا في الهيمنة التقليدية للمنصات باهظة الثمن وعالية التقنية مثل الطائرات المقاتلة. تسلط مقالة في مجلة MIT Technology Review لعام 2025 الضوء على تقدم الصين في تكنولوجيا أسراب الطائرات بدون طيار، حيث تتفوق الوحدات منخفضة التكلفة والمنسقة بالذكاء الاصطناعي على برنامج F-35 الأمريكي باهظ الثمن، الذي يبلغ سعر الوحدة منه حوالي 80 مليون دولار. في الوقت نفسه، أثبتت طائرة HESA Shahed 136 الإيرانية، وهي ذخيرة متسكعة بتكلفة 20,000 دولار، فعاليتها ضد القوات الأمريكية والحليفة في البحر الأحمر، كما وثق تقرير خدمات أبحاث التسليح لعام 2023. كشف هجوم الطائرات بدون طيار في يناير 2024 في الأردن، الذي أودى بحياة ثلاثة جنود أمريكيين، عن نقاط ضعف في أنظمة الدفاع الجوي مثل باتريوت، التي أغرقت بالتهديدات منخفضة التكلفة وعالية الحجم.

يعكس هذا الفجوة التكنولوجية خطأ استراتيجيًا أعمق. تركيز وزارة الدفاع الأمريكية على الأنظمة القديمة، إلى جانب التأخيرات في برنامج الهيمنة الجوية للجيل القادم، جعلها تتخلف عن إنتاج الصين الصناعي للطائرات بدون طيار. تؤكد مقالة PBS News لعام 2024 حول سباق التسليح بين الولايات المتحدة والصين على هذا التحول، مشيرة إلى أن البنتاغون يتسابق لتطوير طائرات بدون طيار رخيصة لمواجهة طموحات بكين الإقليمية. ومع ذلك، تشير البيروقراطية الراكدة وتخفيضات التمويل إلى أن أمريكا قد لا تقود منحنى الابتكار بعد الآن - وهي سمة من سمات مكانتها كقوة عظمى في الماضي.

التراجع الجيوسياسي والتحديات غير المتكافئة

تضعف الانتكاسات الجيوسياسية هيمنة الولايات المتحدة بشكل أكبر. تُظهر أزمة البحر الأحمر، حيث أجبرت هجمات الطائرات بدون طيار الحوثية على انسحاب مؤقت لحاملات الطائرات الأمريكية مثل يو إس إس دوايت د. آيزنهاور في أوائل عام 2025، هذه الضعف. على الرغم من الضربات الانتقامية، فإن ترسانة الحوثيين المدعومة من إيران - التي تتميز بطائرات Wa'id UAVs و Samad-3 بمدى يصل إلى 2500 كيلومتر - حافظت على الضغط، مما يبرز حدود التفوق البحري الأمريكي في المناطق المتنازع عليها. هذا التراجع، وإن كان تكتيكيًا، يُشير إلى الأعداء بأن الحروب غير المتكافئة يمكن أن تحيد مزايا أمريكا التقليدية.

يُشكل الإغلاق المحتمل لمضيق هرمز من قبل إيران تهديدًا أكثر خطورة. يتعامل المضيق مع 20% من النفط العالمي، وقد يؤدي الحصار إلى ارتفاع أسعار النفط بنسبة 20%، كما توقعت وكالة الطاقة الدولية. تحذير وزير الخارجية الأمريكي ماركو روبيو في 23 يونيو 2025 على قناة فوكس نيوز بأن هذا سيكون "انتحارًا اقتصاديًا" لإيران يُبرز الضعف المتبادل، لكن صادرات النفط الإيرانية المتنامية إلى الصين تشير إلى أن لديها نفوذًا. تواجه الولايات المتحدة، التي تعتمد على الاستقرار الاقتصادي العالمي رغم استيراد 7% فقط من نفطها من الخليج، معضلة: الانتقام ومخاطر التصعيد، أو الرضوخ وفقدان النفوذ. يعكس هذا المأزق قوة عظمى لم تعد قادرة على فرض شروطها.

الضغط الاقتصادي والتدهور الداخلي

اقتصاديًا، تتن الولايات المتحدة تحت وطأة التزاماتها العالمية. تُظهر الأموال البالغة 1.2 مليار دولار التي أنفقت للدفاع عن الشحن في البحر الأحمر في عام 2024 التكلفة غير المستدامة للحفاظ على الهيمنة في الخارج، خاصة مع تدهور البنية التحتية الداخلية. يربط تقرير مؤسسة التراث لعام 2025 عن تراجع القوة العسكرية الأمريكية هذا بانهايار أوسع في الحكم الذاتي، مدعيًا أن عقدًا من الإهمال جعل الجيش أضعف مما كان عليه في أي وقت خلال العقد الماضي. يكشف مؤشر الضعف أمام المناخ كيف أن الفوارق الحالية - التي تفاقم بسبب تغير المناخ - تضغط على المرونة الاجتماعية والاقتصادية، مُحولة الموارد من الإسقاط العالمي إلى الأزمات الداخلية.

داخليًا، تُضخم الاستقطاب السياسي وسكان غير منخرطين هذا التراجع. تُشير مؤسسة التراث إلى أن النخب قد "تخلت عن جيل كامل من الفتيان"، مما قلل من الرغبة في الخدمة، بينما تستخلص مقالة الغارديان لعام 2025 حول صعود وسقوط الإمبراطوريات أوجه تشابه مع أنماط التدهور المجتمعي التاريخية. مع أسعار المستهلكين المعرضة لارتفاع محتمل بقيمة 0.50 دولار/غالون في أسعار البنزين بسبب اضطرابات هرمز، قد يُثير السخط الاقتصادي تغييرًا في النظام.

صعود المنافسين وعالم متعدد الأقطاب

مع تعثر الولايات المتحدة، يصعد المنافسون. تُضع أسراب الطائرات بدون طيار الصينية ومبادرات التعاون الفضائي الصين كقائد تكنولوجي ودبلوماسي، بينما تعقد علاقاتها الاقتصادية مع إيران استراتيجية الولايات المتحدة. تُشير التدريبات المشتركة للطائرات بدون طيار التي تجريها روسيا مع الصين إلى تحدٍ منسق. يُبرز مؤتمر الأمم المتحدة لعام 2025 حول الأنشطة القمرية المستدامة كيف أن الفضاء - المجال الذي هيمنت عليه المنافسة الأمريكية-السوفيتية ذات يوم - يعزز الآن التعددية، مُخففًا من الاستثنائية الأمريكية.

يتماشى هذا التحول متعدد الأقطاب مع الدورات التاريخية. يستشهد تحليل الغارديان لصعود وسقوط الإمبراطوريات بالنزاعات العالمية الحالية كدليل على نمط، مع ظهور أعراض التوسع الزائد والتدهور الداخلي لدى الولايات المتحدة.

الخاتمة

لم تعد الولايات المتحدة القوة العظمى أحادية القطب التي كانت عليها ذات يوم، حيث أصبحت تفوقها التكنولوجي باهتًا، ومدى نفوذها الجيوسياسي مقيّدًا، واستقرارها الاقتصادي مهددًا بالضغوط الداخلية والخارجية. يُمثل صعود عالم متعدد الأقطاب، بقيادة الصين وغيرها، نهاية عصر. كما تحذر الأميرة إيrolan في رواية فرانك هيربرت دون، "إذا علمنا التاريخ شيئًا، فهو ببساطة هذا: كل ثورة تحمل في داخلها بذور دمارها. والإمبراطوريات التي ترتفع س تسقط يومًا ما." بالنسبة لأمريكا، قد يكون ذلك اليوم قد حان، وسقوطها شهادة على الطبيعة الدورية للقوة.